مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

في هذا الوقت الذي بدأت تضمحل فيه نظريات الإلحاد شيئاً فشيئاً في جميع أنحاء العالم المدني، بل بدأ يقوى الاعتقاد في نفع الدين ولزومه، ولاسيما في الأيام الأخيرة- نرى اشتعال نيران النزاع بين الملل والنحل التي كانت تعيش في أجزاء الدولة العثمانية المتبددة. ونرى في الناشئة التي تدعي لنفسها التنور- اشتداد العداء نحو الدين باسم «اللادينية»، والاستمساك بنظريات الإلحاد والإنكار [1]. وليس ما أشرت إليه من الخلاف المذهبي إلا ثمرة مُرَّة من ثمار تلك المنازعات الفلسفية والمنطقية التي شبت منذ القديم، مستندة إلى بعض الألاعيب اللفظية، وما ولدته تلك المنازعات من عدوان؛ كما أن ما يشاهد في بلاد تركيا من ضعف الاعتقاد والميل للإلحاد، ليس إلا ناجماً من دراسة العلوم الطبيعية منذ جيل أو جيلين دراسة ضعيفة، والعجز عن تأليف هذه المعلومات العلمية بما تلقته تلك الناشئة من المعلومات الدينية الضئيلة. وكل ما نراه من الغلظة والفظاظة والقسوة في الطرفين- لا سبب له إلا ضعف النظر، ووهن الفكر، وسلوك أضعف المسالك في البحث والمناظرة، وما ينشأ من الجهل المطبق المتسم بسمة العلم من غلط الرؤية والمكابرة.

بيد أني أخاطب كافة الغُلاة من أرباب المذاهب والعقائد المختلفة على الإطلاق، قائلا: اعلموا أيها الغافلون المتعصبون، الذين وصلوا بما بينهم من خلاف في الاجتهاد إلى إثارة الأحقاد الدينية- أن ما لديكم من العلم بعيد عن إدراك المرام الإلهي أقصى بُعد، فلا تتعجلوا في اعتبار أنفسكم من جند الله، واعتبار سائر الموحدين من الطوائف مشركة بالله؛ فإن القرآن الكريم، وخاتم النبيين، يوصياننا بمعاملة اليهود والنصارى- بصفتهم من أهل الكتاب- أحسن معاملة، كما يمنعاننا عن سب الطاغوت والأصنام، وبطلانها ظاهر للعيان. وعلماء الرسوم مكلفون تبليغ أحكام الدين ونشره، فمن الإثم العظيم إثارة الأحقاد نحو جماعة من أهل القبلة، وشق عصا الوحدة، وتوهين دعائم الجامعة الإسلامية، وما من ظالم يرمى غيره بما ليس فيه، إلا يحيق به مكره، ويرجع إليه كيده.

وأنتم أيها المنكرون، الذين هم بأنفسهم معجبون! إنكم ليقصر إدراككم، ويقصر علمكم وفكركم، عن الإحاطة بحقيقة الخلقة، وهذه الطبيعة بفضائها اللانهائي، فيها ما فيها مما لا يصل إليه الفهم، في حين تجول فيه آراء أهل الأديان جولة التفكر والادكار على الدوام، وإنكم ليحرمكم قصر علمكم حق الكلام في هذا الميدان الفسيح، إلا أن المتبحرين في العلوم العقلية، والراسخين في العلوم الدينية والنقلية، يجولون في هذا الميدان جولة العليم بقدره وطوره، متخذين الإنصاف والإخلاص والسعي والإقدام- مع معرفة أقدارهم، والتفاني في سبيل الواجب- نبراساً للبحث بكل دقة وعزم، لينيروا عقول الناس، وينقذوهم

من ذل الجهل والعذاب في الدنيا والآخرة. أما إن توهمتم أنكم قد كشفتم الغطاء عن خفايا الحياة، وأسرار الخليقة، وتصديتم لإنكار كل آثار السالفين باسم التجديد، وبما تعلمتموه من بعض الدساتير الرياضية، وما طالعتموه من بعض المجلات الحكمية، أو المقالات الأدبية، فلن يكون توهمكم وبهتانكم هذا إلا إذلالاً لأنفسكم وقومكم في هذه الدنيا، فضلاً عن الآخرة التي لا تؤمنون بها.

إن ما يدعوني إلى توسيع نطاق هذه الكلمة الصادرة من سويداء القلب، إزاء ما يُرى في العالم الإسلامي خلال الأزمنة الأخيرة من التفرق والضلال، إنما يُبْتَنَى على أملين:

أولهما: إثبات كون الدين لا ينافي العقل والحكمة، والعلم والمعرفة، بقدر ما أستطيع بيان ذلك للملحدين والمنكرين. وثانيهما: بيان أنه إذا عرف الإنسان قدرة الله معرفة إجمالية، باستقصاء آثار الخليقة، وما تحتويه من عظمة غير محدودة، فإن ما يقع من الاختلافات الفرعية بين أهل التوحيد، بناءً على الخطأ في الاجتهاد، ينبغي ألا يؤدي إلى التفرقة والخصومة، ثم إيضاح هذه الحقيقة على قدر الإمكان لأرباب النحل المختلفة، دعوة لهم إلى طريق الوفاق والإنصاف.

إذا وُفقت في هذا السعي، وتمكنت من تنبيه عامة المسلمين- إخواني في الدين- لإزالة أنواع الاختلاف والتخاصم، تحققت أكبر آمالي في الحياة، ورأيت أيامى لم تذهب سدى. وإني لأفتتح كتابي بهذا الأمل وهذه الأمنية الخالصة.

منهج التأليف:

يرى القارئ أني أميل إلى طريقة الإثبات في بياني؛ أي إلى إثبات كل قضية بالاعتماد على العقل والعلم، في حين أني مجبول على الاعتقاد بالمعنويات. فليس سلوكي هذا المسلك إلا لإقناع من أخاطبهم، إذ لا يمكن إقناع المنكرين بالنصوص والنقول الدينية. وأما ما أخاطب به علماء الدين فلا يراد به إلا التوسل إليهم ألا يجهزوا المعارضين والمنكرين بأسلحة الهجوم. فكان من الضروري إذن الاعتماد على العقل والعلم فيما أوردته من الأمثلة والأدلة.

إننا قد استفدنا من الحقائق العلمية، والمكتشفات الجديدة- على وجه الاختصار، ولم نتعمد إيضاحها وإثباتها، لخروج ذلك عن دائرة موضوع الكتاب. بيد أن هذه الأدلة من الحقائق المقطوع بصحتها، ولهذا كلما بحثنا عن الفرضيات والنظريات التي لم تتحقق تمام التحقق- استعملنا من الألفاظ والجمل ما يفيد الشبهة، أو بيَّنا بكل صراحة أنها مشكوك في صحتها.

ومع احتجاجنا بآيات القرآن والأحاديث النبوية وأقوال الفقهاء والعلماء، رداً لمزاعم المعترضين، ودفعا لأباطيل المفترين، فقد استشهدنا كذلك بأقوال الحكماء المحققين والمتفننين، من أرباب سائر الأديان، أكثر من استشهادنا بأقوال أجلة العلماء الإسلاميين في سائر أبحاثنا، نظراً لما هو ملحوظ من اعتداد الملحدين بأقوال هؤلاء أكثر من غيرهم. ومع هذا ينبغي أن يلاحظ أن ذكر قول فلسفي في مقام الاستشهاد، لا يدل على

قبول المذهب الذي ينتمي إليه. وسيرى أننا قد استندنا إلى فرضيات ونظريات لا حظ لها من الثبوت كنظريات التكوين، ولكننا لم نلتزم هذا الضرب من المناظرة، إلا لمقابلة المنكرين بالنظريات التي يعتمدون عليها كل الاعتماد.

وقد يصادف المطالع في هذا الكتاب بعض أقوال وإفادات تقارب وتشابه أقوال المتصوفين والفلاسفة. فلا يظن أحد أن هذه الأقوال قد انتحلناها لأنفسنا بشيء من التعديل والتحريف، فإن ما نقول هو محصول أفكارنا وتصوراتنا الخاصة، المبنية على البحث والدرس.

إني لأعتقد أن ما فعله بعض الأسلاف من المضي في ظلمات المجهولات، مستضيئين بمصباح المنطق الإيساغوجي- وما هو إلا واسطة من وسائط الاستدلال العقلي- قد سلك بهم سبل الضلال، أو تاه بهم في مجاهل الخيال، وكانوا بذلك سبباً من أسباب التفرق، فلم ينج منهم إلا الذين أدركوا عجز البشر، فلم يتعدوا الحد.

ولهذا فإننا التزمنا البساطة والاختصار في كافة أبحاثنا واستقصائنا واستدلالنا، وتجنبنا جهد الطاقة استعمال مصطلحات الفلسفة القديمة ومسائلها في إثبات قضايانا. ولسنا نخاطب الإخصائيين، بل نخاطب كافة المتعلمين من أرباب العقل السليم، فلهذا بذلنا الجهد للابتعاد عن كل ما يصعب فهمه من المصطلحات الفلسفية.

استطراد:

ومع هذا نرى من المناسب أن نورد هنا بعض المعلومات عن المذاهب الفلسفية، فيما يختص بالإدراك والتيقن، إيضاحاً لما قدمنا عن المناظرات الفلسفية، وتسهيلاً لفهم المباحث التي نتناولها.

فُطر الإنسان على البحث عن كل شيء يراه وتفهمه، ولم توجد الفلسفة إلا للبحث عن ماهية الأشياء وبيان ما يفهم منها، فكان حرياً أن تكون أول مسألة من مسائل الفلسفة: «هل يقدر عقل الإنسان أن يصل إلى اليقين؟». وانقسمت الآراء من أول الأمر حول هذا الموضوع، وقبلت الفلسفة الإيقانية وجود عالم خارج عن النفس، أي أنها تعترف بـ «أنا» و«لا أنا»، وترى إمكان إدراك هذا العالم بالعقل؛ وتظهر هذه الفكرة في أول الأمر موافقة لإدراك الإنسان. والمذاهب التي تسمى الحسبانية أو الريبية أو اللاأدرية، تعتقد أن العقل البشري غير قادر على إدراك حقيقة أي شيء وتيقنها، وترى أن كل ما لدينا من الآراء عن بيئاتنا ومحسوساتنا لا قيمة له بتاتاً. وأما النظرية الفكرية أو المعنوية أو التصورية، فترى أن الأشياء ليست إلا عبارة عن أفكارنا، وليس للموجودات التي يمثلها لنا التصور حقيقة، وما المحسوسات إلا محض تصورات. وإذا وسعنا هذه الفكرة رأينا مثلاً أن والد الشخص المتفكر ومربيه ومن ينحو نحوه في تفكيره، ليسوا إلا أشخاصاً متخيلين لا حقيقة لهم، وأن الأرض التي يعيش عليها، والشمس التي يقتبس ضياءها، والسماء التي تحيط به، ليست إلا تصورات، بل يرى البعض أن الشخص المتصور كذلك ولا وجود له.

لا جرم أن العقل السليم يشمئز من ذلك كله، ويستغربه في أول الأمر، ولكن الذين أسسوا هذه المذاهب، وآمنوا بمبادئها هذه، لجئوا إلى الأدلة المنطقية الباهرة، التي يظهر في قضاياها وأقيستها كل شيء في موضعه، فالموضوع موضوع، والمحمول محمول، والصغرى صغرى، والكبرى كبرى؛ فتلعب بالعقل. وجاء الشعراء فأمدوا المفكرين على هذا النحو بالكلمات الوجيزة، والأبيات الشائقة والطريفة، ومهدوا لهم السبيل للاستكثار من الأعوان في كل حين، واستمر الأمر على هذا النحو إلى زماننا الحاضر.

إن في كل مذهب من هذه المذاهب الثلاثة سمة من الحقيقة، إذا قصرنا كلا منها على حالات محدودة معينة؛ إذ لا يصح أن يُقطع بأن كلاً منها على حدة يصلح أن يكون كقاعدة كلية صحيحة. ثم المناظرات والمناقشات التي وقعت بين أرباب المسالك المختلفة، وتمادت تمادياً يصعب الإحاطة به، أدت إلى ظهور فرق متطرفة في كل مذهب، فنشأ بين الإيقانيين من يقول بأن كل ما لا تُدرك حقيقته بالعقل والحواس وعلم البشر، لا وجود له! وظهر بين المذاهب الأخرى من يحسن السفه والكسل والبطالة. والحق أن الإنسان إذا بدأ بقوله «كل ما في الكون وهم وخيال» فإنه ينتهي بقوله «لا ندفع كأس الراح، فالحكم للخمار!» وكل من يعتقد بأنه غير موجود، لا يمكن أن يؤمن بالمستقبل، أو أن يحسب له حساباً.

لاشك أن أمثال هذه النتائج تحول دون الرقي، وتؤدي إلى السقوط والوهن، فهي مضرة بالإنسانية، وهي لهذا مردودة باطلة، وأن تفكير جميع البشر ينبغي أن يؤدي إلى نفع الإنسانية وتكاملها واعتلائها، وهذا لا يكون إلا بالأمل وما يتولد منه، من السعي المتواصل، والاعتماد على النفس اعتماداً معقولاً معتدلاً.

بيد أننا إذا تصدينا لمناقشة هذه المسألة مستمدين من الطبيعة، ومن معاني الحوادث الكونية، رأينا العقل البشري يصل إلى اليقين في كثير من المواضيع، وإن كان لا يستطيع أن يتخلص من الشبه في كثير من الأمور؛ لأن قابلية حواسه محدودة، ولأنه عاجز عن الوصول إلى بعض الحقائق عجزاً تاماً. فلا محل إذن لاختلاف المسالك، وما ينشأ عن اختلافها من الأخطاء والسيئات. ونوضح هذه القضية ببعض الأمثلة؛ كالرؤية التي تعتبر أول نبراس للعلم وأول دليل له:

إن الراصد لا يستطيع أن يميز ما هية الشبح الذي يراه بعينه على بعد ألفي متر في بادئ الأمر؛ لكنه بعد أن يميز حركته، يحكم بأن هذا الشبح إما ذو روح، وإما مادة يحركها ذو روح، وكلما قصرت المسافة أمكن تعيين نوع هذا الشبح. ثم أمكن بالنظر إلى ثيابه تعيين طبقته، وإذا ما وصل إلى قرب ثلاثين أو عشرين منزل، أمكن تشخيصه، وربما عرف الراصد أنه صديق من أصدقائه. إذن يتقدم الإنسان من الجهل إلى الشك، ويتدرج شكه حتى يزول، فيصل إلى اليقين [٢].

إن السفينة التي تتباعد من الساحل تصغر شيئاً فشيئاً حتى تصير نقطة، ثم تغيب فلا يراها البصر. فإذا استعملنا حينئذ منظاراً مقرباً مكبراً قوياً، أمكننا أن نرى السفينة مدة أخرى، حتى تغيب كرة أخرى عن أبصارنا بجسمها وبأعمدتها. فإذا ابتعدت السفينة التي نرصدها- حسب ارتفاعها وارتفاع مرصدنا- نحو خمسة وعشرين أو خمسين كيلو متراً، لا يمكننا أن نرى منها شيئاً، وإن استعملنا أقوى المناظير، لأن كروية الأرض تحول دون الرؤية. بيد أنه لا يشك أحد أن كثيراً من السفن تسير وراء الأفق المرئي، ولا يصعب على أحد أن يطمئن إلى ذلك بطريق الاستدلال. إذن يحصل اليقين بالاستدلال فيما لا يدرك بالحواس.

إن البصر السليم لا يمكنه أن يميز واحداً من عشرة آلاف من المتر. فإذا استعمل الإنسان الميكروسكوب أمكنه أن يميز ما هو أصغر من ذلك من الجراثيم بأشكاله. ومهما ارتقت هذه الآلة لا يمكن تمييز المواد التي تكون أصغر من الميكرون (وهو واحد من مليون من المتر) لأن أمواج الضوء- وهو الواسطة الوحيدة للرؤية- هي بين ١٠/٤ و١٠/٨ من الميكرون، ولا يمكن الضياء أن يميز الأشياء التي تكون أصغر من أمواجه- مع أنه من الثابت طبياً وجود أحياء أصغر بكثير من ذلك، لأن تأثيراتها المضرة أو النافعة للجسم الإنساني محسوسة، ومن الممكن تكثير هذه الأحياء بالتناسل، أو تقليلها بالأصول الطبية، دفعاً لضررها. إذن فوجود هذه الأحياء ثابت بالتحقيق من آثارها، في حين أن رؤية أشكالها وتمييز أجسامها من المستحيل.

ثم إن الرجل الذي يسير ليلاً في مدينة مظلمة أو غابة أو صحراء، قد يصادف من الأشياء ما يخطئ فهمه بل يخيفه، ولكن إذا حافظ هذا الرجل على رباطة جأشه وقوة أعصابه سلم من الخوف، وسلم من الخطأ. وإذا ما سار الإنسان بواسطة سريعة على حافة غابة، رأى أقرب الأشجار تتحرك في اتجاه معكوس، ورأى أبعدها عنه تسير في اتجاهه.

بيد أن أمثال هذه الأغلاط الحسية لا تدل على أن كافة معلومات الإنسان ومحسوساته كاذبة غير حقيقية.

كان الاعتقاد السائد إلى عهد قريب أن الكواكب ثابتة. ولكن دلت الرصدات الدقيقة المتوالية، والاكتشافات العلمية الجديدة المتنوعة، على أن الكواكب تتحرك بسرعة تختلف ما بين عشرين كيلو متر في الثانية إلى مئات الكيلومترات، بل إن بعض السحابيات تتحرك بسرعة تصل إلى ألفي كيلو متر في الثانية، لكن بُعد المسافة يحول دون شعورنا بذلك في وقت قصير، وقد تبين أن مجموعتنا الشمسية تقترب من نجم النسر الواقع في برج شيلياك بسرعة عشرين كيلو متر في الثانية، أي بسرعة ٧٢ ألف كيلو متر في الساعة. لكن جميع هذه الحركات، وكل ما يحتمل كشفه من الحادثات، ليس إلا عبارة عن تبديل بعض الكواكب مواقعها بالنسبة لبعضها، وليس من الممكن تعيين الحركة المطلقة أو السرعة الحقيقية لها في البعد المجرد، لأن إدراك البشر- أصاب أو أخطأ- هو نتيجة نسبة وقياس. فإذا وصل الأمر إلى المطلق وقف الإدراك. وقد أخفقت جميع التجارب التي وقعت لتقدير السرعة الحقيقية للأرض في الفضاء

بالاستفادة من سرعة الضوء، بل أثبت الحكيم الرياضي الشهير آينشتين أن هذا الإخفاق نشأ من كون سرعة الضوء- وهي الواسطة الوحيدة للمشاهدة والرصد- أعظم سرعة في العالم، فمن المحال رصد سرعة أعظم منها [٣].

ينتج من هذه الأمثلة التي أوردناها عن الرؤية والتي يمكن تطبيقها على سائر الحواس [٤]:

أولاً: أن علم البشر يصل إلى اليقين بطريق المشاهدة والحس والفكر والاستدلال.

وثانياً: أنه يمكن الوقوع في الشك في بعض الأحوال، كما يحتمل خطأ الحسيات والمعلومات أحياناً.

وثالثاً: أن من الممكن مع هذا بالبحث الدقيق، والدرس العميق، وبالكشف الجديد، توسيع نطاق العلم البشري، وإزالة الشبهات، وتصحيح الأخطاء.

ورابعاً: أن علم البشر مع هذا وإدراكه محدودان بنطاق طبيعي [٥]، فلن يصلا إلى اللانهائي وإلى المطلق.

قد يُظن أن المفكرين الواقفين على العلوم الرياضية والطبيعية لا يترددون في قبول هذه الآراء والأفكار وتصديقها، ولكن لم يكن الأمر على هذا النحو في المناظرات القديمة الفلسفية، التي كانت تتناول مُثُلاً

متعارفة نحو «الضدان لا يجتمعان» يُبنى عليها كثير من الأقيسة المنطقية، حتى يُستنتج منها أن «الشك واليقين لا يجتمعان»، ويوقف بذلك عند اليقين الكامل أو الشك التام. وكذلك يستدلون ببعض الأغلاط الحسية المتولدة من نسبية الحركة على أن جميع الأشياء عبارة عن أشكال وصور حادثة في المخيلة. وبالجملة فإنهم يغضون الطرف عن الشئون والأحوال الطبيعية، ويسترسلون في الألاعيب اللفظية، التي تولدت منها جميع الاختلافات والمجادلات. نعم إن سقراط وأمثاله من أكابر المفكرين قد وصلوا إلى الحقيقة في الجملة، إلا أن ذلك الأسلوب من المناظرة قد بقى بجميع نقائصه إلى يومنا هذا.

لا جرم أن الاختلافات الكلامية التي وقعت في أوائل العصر العباسي عند ترجمة الكتب اليونانية ودرسها، كان لها أثر مفيد في إزالة كثير من الشكوك، إلا أنها فتحت السبيل لكثير من المنازعات المذهبية، وأدت إلى ظهور الجبرية والمعتزلة وغيرهما من أنواع الفِرق. ولهذا تجنبت المناظرات الفلسفية على قدر الإمكان على الرغم من اتساع المجال لها في هذا الكتاب.

[تم الاستطراد]

قد يحمل البعض تجاسري على البحث في المسألة التي خصصتها قبل سطور بفحول العلماء الكاملين، وأكابر الحكماء المتبحرين- على عدم معرفتي قدري؛ فأسارع إلى الاعتراف بأني لا أدعي الاختصاص بعلم وفن من العلوم والفنون التي تتعلق بهذا الكتاب، ولكني أخاطب المبتلين

بالجهل المركب؛ لأبين لهم أن المسائل التي يتصدون لنفيها وإنكارها بكل استخفاف، أو يتخذونها أساساً للعن الغير وتكفيره- هي من المسائل التي عجزت دونها الأفهام، قاصداً إرغام أنف المنكرين والمكفرين [١].

وأدعى أني أثبت في كتابي هذا ما لقنه دين الإسلام وعلمه، من وجود الخالق المتعال؛ الله ذي الجلال، ومن وحدته بالبراهين الرياضية اليقينية. وأما العقائد الدينية الأخرى، فأثبت أنها ليست بعبث ولا محال، قياساً على دقائق الخلقة وعجائبها، التي تعلق بها علم البشر؛ أعني أثبتّ إمكانها، بل نفعها ولزومها.

موضوع الكتاب:

إن موضوع الكتاب في الجملة: بيان أن الحقيقة الدينية غير مغايرة للعقل والحكمة، وأن بعض الاختلافات المذهبية نجم عن عدم إدراك العظمة الإلهية كما يليق بها، بيد أني سأخصص بالذكر والبحث الدين المبين الإسلامي.

أولاً: لأني- والحمد لله- أدين بالإسلام، ولأن ما يسوقني إلى تحرير هذا الكتاب هو ما أشعر به من التأثر والاضطراب للتعدي على الديانة الحنيفية السمحة تعدياً إلحادياً يؤدي إلى تشتيت الشمل.

وثانياً: لأن الموسويين يعترفون بأن التوراة قد ضاعت مراراً [٢]، وأما الإنجيل فقد كتبت مئات من الكتب بدعوى أنها ذلك الكتاب المقدس، ثم هبط عدد هذه الكتب إلى أربعة وخمسين، ثم اختاروا منها أربعة في

الكنائس، والحقيقة لا تتعدد؛ فلا شك إذن أن متن هذا الكتاب مشكوك في صحته. وأما القرآن الكريم فمضبوط على النحو الذي أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام وأملاه، وليس في صحته أدنى شك، ولا يمكن أن يقابله أحد الخصوم بالاعتراض. وإذن فالدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي له سند صحيح [٨].

وثالثاً: لأن الأحكام والعقائد الدينية في الديانة الموسوية والعيسوية يلزم قبولها بدون مناقشة وتدبر، لأنها ضرورة مذهبية، بحيث يقول المؤمن بها «أومن بهذا لأنه محال» "Credo quia absurdum" كما أن ما يقرره القناصل (مجالس الرهبان) وآباء الدين والبابوات يعتبر من الأحكام المقدسة الواجبة الإتباع، ثم يجتهد الرهبان لتقوية عقائدهم الدينية، كما أن الحكماء والمتفننين الذين نشئوا من بينهم يسعون في زماننا لتأييد العقائد المسيحية بالأدلة والأقيسة القريبة من العقل والعلم، ولكن بعض العقائد المسيحية لا تتحمل مناظرة علمية، فإنها لا يمكن أن تُقبل إلا كما قال سنت أوجوسنن: «أومن بها لأنها محال»؛ أي بلا مناظرة، أي بالإكراه [٩].

هذا في حين أن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تبين «أن لا إكراه في الدين» وأن الإيمان والاعتقاد يطلبان التعقل والتفكر، فالبحث العقلي مقبول في الدين الإسلامي، والاتفاق معقود على أن الإيمان الاستدلالي- أي الذي يكون بعد اقتناع العقل- راجح على الإيمان السماعي التقليدي،

بل إن بعض المذاهب يشترط قيام الإيمان على الاستدلال العقلي. فالدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يقبل البحث والنظر العقلي.

ومع هذا فإننا نتمثل بقوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)، وندعو أهل الكتاب ليتحدوا معنا حول كلمة التوحيد بكل إخلاص.

تنبيه

قد علقتُ حواشي على متن الكتاب، وهي لفائدة زائدة، فأرجو من القراء الكرام- إن ساعدهم الوقت- أن يقرءوها، وإلا فليكتفوا بمطالعة متن الكتاب، فلن يفوتهم شيء من المقاصد الأصلية.